العنف في وسائل الإعلام ، مظاهره وطرق مواجهته

الأستاذ الدكتور: فضيل دليو

جامعة قسنطينة3، الجزائر.

الملخص:

لا زالت مسألة العنف في وسائل الإعلام حديث الساعة، فهى ظاهرة متجددة تطفو على الساحة العامة كلما حدث حادث عنيف في الحياة الحقيقية وخاصة إذا كان فاعلوه من الأطفال. فيتسارع إلى مناقشة مدى ارتباطه بما ينشر أو يبث في وسائل الإعلام. بداية يجب الإشارة إلى أن النقاش المثار حوله لا يكون دائما ذي خلفيات علمية محضة، وذلك بدء بتحديد ما هو عنف مما هو ليس كذلك وانتهاء إلى مدى تأثير الإعلامي منه على الجمهور.

Abstract :

The topic of "Violence in mass-media" is very important and specially when the consumers are adolescents. It is quickly related to the role of the mass-media in preventing and confronting violence in our societies.

The study starts with defining concepts of violence in general and concretely in the mass-media, then it exposes the problematic of this phenomenon, which personal and social characteristics are related to the exposure to violent audiovisual contents, and finally it discusses how to enhance the role of our different institutions in fighting against the violence of the torrent of images and sounds overwhelming our lives.

At last, the study recommends some suggestions which turn basically around how to make our relation with the mass-media efficient.

مقدّمة:

يعتبر العنف ظاهرة معقدة وأسبابها متعددة. ولذلك كانت مقارباتها متنوعة: أنثروبولوجية، نفسية، اجتماعية، قانونية، إعلامية... ولهذه الأخيرة بعدان: بث وسائل الإعلام لمضامين عنيفة وكيفية معالجتها لعنف الآخرين. وما يهمنا هنا هو البعد الأول، أي العنف في وسائل الإعلام.

بداية يجب الإشارة إلى أن النقاش المثار حول "العنف في وسائل الإعلام" لا يكون دائما ذا خلفيات علمية محضة بل قد يضمر دوافع أخلاقية، سياسية أو اقتصادية واضحة. وذلك بدءً بتحديد ما هو عنف مما هو ليس كذلك وانتهاء إلى مدى تأثير الإعلامي منه على الجمهور.

لقد شغلت هذه الظاهرة الباحثين والإعلاميين والسياسيين ورجال الأعمال على حد سواء، وذلك منذ نهاية عشرينيات القرن الماضي. مع ملاحظة تركيزهم أكثر على شريحة القصّر ووسيلة التلفزيون. حيث تم استقصاء عدة آثار محتملة لمشاهدة التلفزيون أهمها: الاستثارة الانفعالية، إزالة الضوابط، التقليد وتقليل الحساسية (مكلفين وغروس:2004، 392).

وبناء على ذلك، غالبا ما تقدم لتفسير هذه الآثار عدة فرضيات، إحداها أن التسلية عن طريق البرامج العنيفة تعد عاملا قويا مستقلا في استثارة السلوك العدواني، وثانيها أن التعرض للخيال العنيف في وسائل الإعلام له صلة بالسلوك الناتج من خلال التقليد والنمذجة النمطية، أي كلما ازداد تشابه النموذج العنيف مع المشاهد (المقلد) ازدادت نسبة تقمصه له، وثالثها أن الأطفال والمراهقين تقل لديهم الضوابط الرسمية مما يجعلهم أكثر عرضة للتأثر بمضمون العنف في وسائل الإعلام، ورابعها تخالف ما سبق بافتراضها وجود آثار إيجابية (التهدئة والتنفيس أو تفريغ العدوان والعنف) لمشاهدة العنف في وسائل الإعلام (مكاوي والسيد: 1998، 354-366، و بلاس: 1990، 24-25).

وقد بنيت على هذه الافتراضات وغيرها العديد من النظريات المفسرة للعنف في وسائل الإعلام، ومنها: نظريات التطهير، الاستثارة، التدعيم، النموذج، التوحد... يضيق المجال هنا لتفصيل الكلام عنها.

وكمساهمة منا في هذا النقاش ولتحسيس الإعلاميين، مبرمجي القنوات، منتجي الأفلام وألعاب الفيديو، المعلمين والأولياء نقدم هذه الورقة التي تشتمل على النقاط الآتية: مفهوما "العنف" و"العنف الإعلامي"، إشكالية العنف في وسائل الإعلام (المظاهر والعوامل وحجج المسوغين)، وطرق مواجهته.

1- العنف والعنف الإعلامي:

إذا لم نعتمد التصور الماركسي المشرعن دوريا للعنف الثوري الحتمي والملازم لتطور المجتمعات، فالأصل أن هذا التطور عملية حضارية تنبذ العنف ابتداءً وتلجأ إليه اضطرارا وتغلب فيها الروح والعقل على الغريزة فيجعلانه آخر الدواء في عملية التدافع الأزلي بين الخير والشر. فالدورات الحضارية متعاقبة وفتراتها الروحية والعقلية والغريزية –على حد التوصيف الشهير لـ"مالك بن نبي"- متتالية. كما أنه لا يمكننا من جهة أخرى إغفال المقاربة الذاتية للعنف من حيث الإحساس به، ملاحظته، تمثله، ممارسته... على مستوى الأفراد والمجتمعات، مقابل المقاربة الموضوعية، الأمبريقية، الإحصائية لعدد ضحايا الانحراف والجريمة من المعنفين. وهذه الثنائية قد تجعل تحديد مفهوم العنف أمرا صعبا. وخاصة إذا علمنا أن دلالاتها تختلف باختلاف المجال المعرفي والتخصص العلمي والمعايير الثقافية والاجتماعية. ولهذا يقال دائما أن لكل علم مفاهيمه الخاصة وأن لكل ثقافة مفاهيمها الخاصة. ومع ذلك فقد نجد أبعادا إنسانية أو عالمية أو موضوعية للعديد من المفاهيم.

ومفهوم "العنف" لا يخرج عن هذين السياقين الموضوعي العام والذاتي الخاص: فتقديم الذبائح البشرية مثلا قد يعتبر أمرا طبيعيا في بعض أدغال أفريقيا (عيساني: 2000، 39) وهو مستهجن جدا لكونه عنفا شديدا عند غيرهم، والشيء

نفسه يمكن قوله عن "العنف اللفظي" مثلا، عند من تعوّد عليه ومن لم يتعود عليه، وهكذا... لذا فمعناه يختلف باختلاف مستعمليه: "فيزيقيا" من مجرد الصفعة إلى قنبلة "هيروشيما"!، "وسيليا" من الهراوات إلى الإلكترونات، و"رمزيا-لفظيا" من مجرد النظرة إلى الصراخ مرورا بـ"الأف".

ولذلك يتردد بعض المنظرين (HUYGHE, F.-B.: 2001, 113-115) في تحديده بين "نية" فاعليه (إلحاق الضرر، الإخضاع...)، "مظاهره" (استعمال القوة المادية الفظة) أو "نتائجه" (حصول الأذى أو الإكراه...)، أي كعلاقة مباشرة أو غير مباشرة زمنيا (بين الفعل والنتيجة)، أو فضائيا (الصراع عن بعد بين المتخاصمين) عبر وسائل الإعلام. ثم إن العنف البدائي يستهدف نتيجتين: زوال الآخر بصفته قوة فيزيقية معارضة (الهروب، الموت، الإعاقة...) أو قوة نفسية معارضة (الخضوع)، أما العنف المعاصر فقد يتجاوز ذلك إلى تخريب شبكة الهاتف، التجسس الاقتصادي والحرب المعلوماتية والإلكترونية، بغية إضعاف/ شل قوة الآخر أو تدعيم التفوق الذاتي.

فالتعريف الموضوعي قد يشير مثلا إلى أي مساس بالقوة بسلامة الأشخاص الفيزيقية أو الفكرية أو الأخلاقية: "يحدث العنف في حالة تفاعل الأشخاص حيث يقوم أحدهم أو بعضهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، دفعة واحدة أو تدريجيا، بالمساس بالغير وبدرجات متفاوتة، إما بسلامتهم الفيزيقية أو الأخلاقية أو بممتلكاتهم، أو بتعبيراتهم الرمزية والثقافية" (MICHAUD, Y.: 1978, 20). وقد يعترض على ذلك بالقول بأن هذا التعريف أغفل الذاتية الفردية أو الجماعية للفاعل، للضحية أو للملاحظ، لأنهم يدركون العنف كجمهور (اجتماعي) من خلال عملية تأويلية تحويلية تخضع لعدة وسائط شخصية، عائلية ومجتمعية، وأن صفة العنف نسبية تختلف باختلاف الأشخاص والزمان والمكان. فاختلاف الثقافات الوطنية مثلا تؤثر على طبيعة إدراكنا وتقديرنا للأحداث كما أثبتت ذلك دراسة مرجعية قارنت بين طرق إدراك الشخصيات النمطية لمثلي مسلسل "دالاس" في بلدان مختلفة (LIEBES & KATZ: 1990).

ولكننا لا يمكن أن نختزل العنف في فكرة التمثلات أو الإدراكات الشخصية والقيم الجماعية ونسبيتهما، فهو قبل شيء مساس حقيقي بسلامة الأبدان والأنفس لضحايا قُتِلوا، جرحوا، سرقوا، همشوا، أهينوا... ومهما اختلفت ثقافة الملاحظ فإنه يعتبرها ظواهر عنف تدرك من طرف الجميع وتنتمي إلى البعد العالمي.

إذن فالصعوبة والفائدة في الوقت نفسه تكمن في كيفية الجمع بين المستويْن ومفصلتهما حتى نتمكن من تجاوز بساطة الموضوعية وعموميتها من جهة ومحدودية النسبية وذاتيتها من جهة أخرى. ولذلك كله وجب تحديد مفهوم العنف وفق تعاملنا معه إجرائيا في هذه الدراسة، فنبدأ برصد حركته لغة واصطلاحا على انفراد ثم بعد تركيبه مع بعده الإعلامي قبل تبني المعنى الإجرائي النهائي:

جاء في "لسان العرب" لابن منظور (1997، 257-258) أن **العنف لغة** يعني "الخُرْق بالأمر وقلة الرفق به، وهو ضد الرفق... وأعنف الشيء أخذه بشدة. واعتنف الشيء: كرهه... والتعنيف: التعيير واللوم.. والتوبيخ والتقريع".

وتقابلها في اللغتين الفرنسية والإنجليزية كلمة: "Violence"، وأصلها اللاتيني: "Violentia". ومعناها في قاموس "أكسفورد" الإنجليزي (Oxford Dictionary, p.982): "الاستخدام غير المشروع للقوة المادية –بأساليب متعددة– لإلحاق الأذى بالأشخاص والإضرار بالممتلكات، ويتضمن ذلك معاني العقاب والاغتصاب والاعتداء على حريات الآخرين"، وتعبر في القاموس الفرنسي "لاروس" (Le Petit Larousse, p. 1068) عن صفة، مظهر أو نتاج الشدة، الغلظة أو المبالغة في استعمال القوة الفيزيقية.

يتضح من هذه التعريفات اللغوية أن للعنف عدة معاني متقاربة: قلة الرفق، الشر، الشدة، الكراهية، التعيير، التقريع، استعمال القوة، الغلظة، الاعتداء... وهي معان اعتمدها المختصون في صياغة تعاريفهم الاصطلاحية:

فقد درج البعض على استعمال **التعريف الاصطلاحي الكلاسيكي للعنف** بالرجوع إلى ما اشتهر في السبعينيات عن "جربنر" (Gerbner) الذي جعله يقتصر على المظاهر المادية، أي "استخدام القوة الجسمية ضد الذات أو الآخرين، أو إجبار الآخرين على القيام بأفعال رغما عن إرادتهم تحت طائلة التهديد بالإيذاء أو القتل" (مكلفين و غروس: 2004، 377).

ثم أضيفت لهذا التعريف مظاهر أخرى مثل السرقة، التزوير، مجانية العنف، عرض العنف، شدة العرض، وصف تألم الضحية وشدة الوصف... وأخيرا بعض المظاهر النفسية للعنف.

ولذلك، فإن مراجعة التراث النظري المعاصر حول مفهوم العنف تبرز عادة بعدين، أحدهما مادي وثانيهما نفسي وقيمي، أقل وضوحا ومختلف في تحديده. ولذلك يمكن القول "أن هناك عنفا عندما يعتدي أحد أو بعض المتفاعلين بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، دفعة واحدة أو تدريجيا وبدرجات متفاوتة على باقي المتفاعلين إما ماديا (في الجسم أو الأملاك...) أو معنويا (نفسيا أو فكريا...)" (MICHAUD, Y.: 2003, 2).

يستشف من هذا التعريف أن حالات العنف عديدة وأكثر تعقيدا مما قد يبدو لأول وهلة. فمنها ما هو مباشر وقديم قدم قتل "قابيل" لـ"هابيل" ومنها ما هو غير مباشر وحديث استحدثته وسائل الإعلام والاتصال الجديدة المهيمنة على مجتمعاتنا المعاصرة.

ويعتبر **العنف في وسائل الإعلام** عنفا نفسيا فكريا أخلاقيا. فهو يشمل كل عمل إعلامي يحتوي على مظاهر وتصرفات وألفاظ ورموز وعلاقات وقيم ومثل ومبادئ تتنافى والسلوك السوي والفطرة السليمة للإنسان (عيساوي: 1993، 8). وقد عرفه "المركز الكندي للدراسات حول وسائل الإعلام" في إحدى دراساته حول "العنف في التلفزيون الكندي (1993-1998) "بأنه: "أي اعتداء نفسي أو أخلاقي أو أي فعل يتسبب في حالة نفسية غير مرغوبة مثل القلق، الخوف، الإهانة، السخرية،

فقدان القيمة أو الحنان والحب، المساس بالسمعة، الشعور بالذنب... أي كل الحالات المولِدة للشعور بالألم غير الفيزيقي" (www.media-awareness. ca: 12/10/2005).

ويمكن اعتماد هذا التحديد الإجرائي المركز لمفهوم العنف الإعلامي، مع الأخذ بعين الاعتبار في تقدير هذا العنف الوسيلي وخاصة المتلفز منه عدة مؤشرات، منها: الجو والسياق العام للبرنامج، طبيعة اللغة المستعملة، وتيرة ومدة المشاهد العنيفة، بعدها الأخلاقي، نوع المؤثرات الصوتية (شدة الصوت، الصراخ، الموسيقى...)، إخراج الصور (صور مكبرة لمشاهد عنيفة...)، المتغيرات الديمغرافية والخصائص الشخصية للجمهور، الخ. كما يمكن الرجوع إلى قاموس العنف الذي وضعه "جربنر وآخرون" (GERBNER et al.,1980) كأسلوب لحساب كمية أو عدد مرات تكرار العنف في الوسائل السمعية البصرية من خلال مقياس يمكن تطبيقه على جميع البرامج (مكاوي والسيد: 1998، 360)، ويعتمد فيه أساسا على تبني "تعريف موضوعي للعنف ثم ترميز عينة من برامج التلفزيون بناء على ما تحتويه من مشاهد عنف تتفق وذلك التعريف" (مكلفين و غروس: 2004، 376-377).

2-إشكالية العنف في وسائل الإعلام:النشأة، المظاهر والعوامل

1.2- تاريخ العلاقة بين العنف ووسائل الإعلام:

إن فكرة الربط بينهما قديمة قدم استعمال وسائل الإعلام التقليدية (الشعر، خاصة) في الحروب القبلية: تأليبا وتحميسا ونشوة، ولكن وثاقة هذه العلاقة ازدادت مع ظهور وسائل الإعلام الجماهيرية (الصحافة، الإذاعة، التلفزيون). فمنذ القرن التاسع عشر، مثلا، كان بعض المجرمين يَقدمون على أفعالهم بدافع التغطية الصحافية لها. كما كان للدعاية والدعاية المضادة في وسائل الإعلام الجماهيرية دور حاسم منذ الحرب العالمية الأولى في تجنيد المتحاربين.

وتعتبر عشرية الستينيات من القرن الماضي –كما سنرى لاحقا- منعطفا مهما في هذه العلاقة، حيث بدأت تعتبر وسائل الإعلام السمعية بصرية متغيرا فاعلا ونظاما مؤثرا جديرا بالدراسة والتحليل والنقد في كينونتها ووظيفتها، مما أدى إلى ربط البعض سببيا بين بعض برامج التلفزيون وبعض مظاهر العنف، كثافته، أشكاله ونماذجه الفيزيقية، اللفظية والرمزية.

وتشير بعض المراجع المتخصصة (WIERVIORKA: 2004, 120-123) إلى أن أول كتاب ناقش هذه العلاقة هو مؤلف جماعي بعنوان: "العنف ووسائل الإعلام الجماهيرية"، صدر بأمريكا عام 1960 وأشرف عليه "أوتو ن. لارسن" (Otto N. Larsen (ed.): Violence and the Mass Media)، إلا أن "اللجنة الوطنية الأمريكية حول أسباب العنف والوقاية منه" (NCCPV) ترجع الاهتمام بهذا الموضوع إلى نهاية عشرينيات القرن الماضي، حيث تذكر أن أول من تعرض له هم بعض الباحثين الأمريكيين الذين أشاروا إلى العلاقة بين جنوح الأحداث والتردد على قاعات السينما. ثم أصبح هذا الموضوع محل نقاش عام في أمريكا منذ 1954، حيث خصصت له هذه اللجنة تقريرا عام 1969 انتقدت فيه دور التلفزيون في انتشار العنف. ثم انتقل النقاش إلى كندا فأوروبا فباقي دول العالم تزامنا مع انتشار التلفزيون وخاصة قنواته الخاصة، لأن النقاش كان يركز على مجالات مهمة من اقتصاد السوق أو السلعنة الإعلامية المرافقة لبرامج العنف (WIERVIORKA: 2004, 122).

إن أهمية النقاش حول هذه العلاقة أنتجت العديد من الدراسات المتخصصة التي ازدادت وتيرتها منذ النصف الثاني من الستينيات، حيث حاولت: تكميم عنف برامج التلفزيون، اقتراح مؤشرات لتحديد مستويات العنف، قياس وقت المشاهدة حسب مختلف الفئات العمرية، التقدير الكيفي للمحتويات العنيفة لبعض البرامج والتساؤل عن طريقة التعامل معها بالشجب أو عدمه... وخلصت معظمها إلى تأكيد العلاقة بين صور العنف والسلوك العدواني مع الإشارة إلى أهمية المحددات الشخصية والثقافية والاجتماعية في تكييف هذه العلاقة. وفي

المقابل حاولت دراسات أخرى –محدودة العدد– أُهملت منذ السبعينيات من القرن الماضي، الإشارة إلى التأثير الإيجابي لصور العنف بالتقليص التنفيسي أو التصفوي للسلوك العدواني (WIERVIORKA: 2004, 123).

هذا ملخص أهم ما وصلت إليه المعارف العلمية حول العنف ووسائل الإعلام عموما والتلفزيون خصوصا حتى 1990، حسب العمل الجامع لـ"أ. مارتينز" (MARTINEZ, A: 1990). أما الدراسات المعاصرة، فيغلب عليها التوجه أكثر نحو توصيف محددات هذه العلاقة الموجبة، مركزة على دراسة المتغيرات الداخلية للمواد الإعلامية العنيفة وكذا المتغيرات الخارجية المتعلقة بالجمهور وأثر الأولى على الثانية (SHERRY, 2001; ANDERSON 2004; TAMBORINI et al., 2004; FARRAR et al.: 2006; EASTIN & GRIFFITHS: 2006; PETER & VALKENBURG: 2006). كما وسعت من مجالاتها لتشمل ألعاب الفيديو والانترنت...، مع التركيز دائما على الشباب الذي أصبح "ينمو متصلا" مع "أب ثالث إلكتروني" وفي "مجتمع إعلامي وسيلي" تحولت فيه غرفه من "غرف أَسِرّة النوم" إلى "غرف وسائل اتصال".

وتجدر الإشارة في الأخير إلى تصنيف تاريخي نوعي لمختلف الدراسات والبحوث التي اهتمت بهذه العلاقة الوسيلية، عرضه "مكلفين و غروس" (2002، 383-390) و(FERGUSON, 2007, 471-472): تعود "المرحلة الأولى" إلى ما يعرف بالدراسات التجريبية للجيل الأول التي نشرها "باندورا وزملاؤه" (BANDURA et al., 1962) في الستينيات ولفتت انتباه الرأي العام حول التأثيرات التعليمية المحتملة للنماذج العدوانية المقدمة في السينما أو التلفزيون على الأطفال. ثم أخذت البحوث في "المرحلة الثانية" (منذ السبعينيات) مناحي منهجية متنوعة كان أهمها "الدراسات الارتباطية أو غير التجريبية" (Correlational or non-experimental studies) والتي خلصت بوجه عام إلى أن كمية مشاهدة العنف المتلفز ترتبط بتقديرات الأفراد الذاتية لسلوكهم العدواني. ولقد أُخذ على هذا النوع من الدراسات صعوبة تحديد السبب والنتيجة. مما أدى إلى ظهور

الدراسات التجريبية بمختلف أنواعها: "الدراسات المخبرية" (Laboratory studies) لتمكن الباحث من الكشف عن العلاقة السببية، غير أن مشكلة هذه الدراسات تكمن في غالبية استعمالها لعينات صغيرة وغير ممثلة يتم تعريض مفرداتها للمتغير المستقل (مشاهدة العنف) وفي ظروف مصطنعة وغير طبيعية. ولذلك تم تصميم "التجارب الميدانية" (Field experiment) في البيئة الطبيعية للمبحوثين لزيادة الصدق الطبيعي باستعمال مجموعتين إحداهما تجريبية مشاهِدة للعنف والأخرى ضابطة غير مشاهدة له. ولقد أشارت نتائجها على العموم إلى أن الأطفال الذين يشاهدون العنف يكونون أكثر عدوانية من الذين لا يشاهدونه. ولكن ما يؤخذ عليها هو صعوبة التحكم في المتغيرات العارضة أو الدخيلة في الموقف التجريبي.

ولقد شاع في التجارب المخبرية استعمال "النموذج العام للعدوانية" (General Aggression Model) لكل من (ANDERSON & DILL, 2000) لتفسير الربط بين العنف الإعلامي والسلوك العنيف. كما تستعمل اختبارات وقياسات أخرى لآثار العنف (FERGUSON, 2007, 472) مثل "اختبار تايلور الزمني لرد الفعل التنافسي" (Taylor Competitive Reaction Time Test) وقياسات فيزيولوجية لـ"الاستثارة الانفعالية" (Arousal) مثل معدلات دقات القلب وضغط الدم وترددات نشاط المخ... ولشدة الضجيج ومدته بعد ربح أو خسارة المنافسة (في ألعاب الفيديو مثلا)، وتأويلات لأفعال بعض الأشخاص في القصص الإعلامية، وإصدار الأحكام على مجرمين في سيناريوهات مماثلة، والأفكار العدوانية (الإدراكية والعاطفية)...

وعلى غرار الدراسات التجريبية وخلافا للدراسات الارتباطية، جاءت "الدراسات الطولية التتبعية" (Longitudinal panel studies) لتكشف الأسباب والنتائج إلى حد ما، معتمدة في الغالب على عينات ممثلة للمجتمع ومستهدفة التأثير التراكمي للتلفزيون على السلوك من خلال تتبع كيفية تطور العلاقة السببية عبر الزمن. ولقد أشارت هي الأخرى إلى وجود علاقة متفاوتة القوة بين مشاهدة العنف والسلوك العدواني. وأخيرا فـ"إن واحدة من أكثر أنواع

الدراسات فائدة في هذا المجال هي التجربة الطبيعية (Natural experiment)، التي لا يقوم فيها المجرب بمعالجة المتغير المستقل، وإنما يستغل فرصة وقوعه بشكل طبيعي (إدخال التلفزيون في مجتمعات نائية) ويستقصي آثاره" (مكلفين و غروس": 2002، 390).

أما في البلدان العربية، فبالرغم من خصوصياته الحضارية والتاريخية فإن مجاله الإعلامي يقع منذ الثمانينات من القرن الماضي تحت وطأة حوالي 69 ٪ من الإعلام الأجنبي عموما والأمريكي خصوصا (العبد، عاطف عدلي: 1993، 215)، ومن ثم فمشاهدي القنوات العربية يخضعون تقريبا لمشاهد العنف الغربية نفسها كما وكيفا منذئذ، وخاصة إذا علمنا أن البرامج الأجنبية ذات الطابع الثقافي والتربوي والعلمي نسبتها ضئيلة من إجمالي المستورد، مثل ما هو الحال عليه في الجزائر (الدوري، عدنان:1977، 51). ولا أظن أن الأمر تحسن الآن، فمنحنى الاستيراد يتجه نحو الأعلى، حيث ارتفعت نسبة الاستيراد في الجزائر مثلا، من 53.10 ٪ عام 1983 إلى 63.4 ٪ عام 1990) (بوجلال: 1994، 104).

2.2- مظاهر العنف في وسائل الإعلام:

ما شدة عنف ما تعرضه وسائل الإعلام؟ وكيف تعرضه؟ وهل لما تعرضه من مضامين عنيفة آثار سلبية على الجمهور وخاصة القصّر منه؟

إن الإجابة على مثل هذه الأسئلة ما فتئت تثير منذ أزيد من نصف قرن جدلا حادا تشوبه الكثير من الحساسيات الاجتماعية والسياسية والمصالح الاقتصادية وقليل من الخلفيات العلمية الجدية.

وعلى كل فالعديد من الإحصائيات المتعلقة بكثرة العنف في وسائل الإعلام وشدته (مجانيا، عاريا، فضيعا، دنيئا...) من جهة، وكثافة التعرض أو استهلاك وسائل الإعلام (+ 07 ساعات يوميا في ألمانيا مثلا: WOLFGANG, D., 2006, p.438) من جهة أخرى، تشيران إلى تأكيد احتمال وقوع أثره على الأقل على الفئات الخاصة من الأطفال والمراهقين ومن الذين لديهم استعداد

لذلك. ومن ثم فمخاوف الأولياء والتربويين منه مبررة، والدعوة إلى مواجهته ضرورية، على الأقل، لاتقاء احتمال وكثرة وقوعه.

وسيتم استعراض بعض مظاهر العنف الإعلامي بإيجاز شديد من خلال بعض وسائله السمعية البصرية: التلفزيون، السينما، الدعائم الغنائية، ألعاب الفيديو والإنترنت:

- لقد بدأت مشاهد العنف بالتزايد في **السينما والتلفزيون** منذ الخمسينيات من القرن الماضي. وكان مؤشر ذلك ما حدث من تطور جذري في برامج التلفزيون الأمريكي (زيادة 90 بالمائة بين 1951-1964) (FRYDMAN, M: 1993) وفي سياسة هوليود السينمائية المهيمنة على العالم والمدعمة له. لقد أورد (WIERVIORKA: 2004, 129) ما ذكره (GITLIN, 2001) من أن المعدل الزمني اليومي الذي يقضيه الأطفال أمام التلفزيون يقارب 06 سا في أمريكا ونصف ذلك في فرنسا، وأن الطفل الأمريكي الذي تتراوح مدة مشاهدته ما بين ساعتين وأربع ساعات يوميا يكون قد شاهد مع نهاية مرحلة دراسته الابتدائية حوالي ثمانية آلاف جريمة قتل ومائة ألف فعل عنيف (مكلفين و غروس: 2004، 377). وبسبب ذلك، قامت الحكومة الأمريكية عام 1969، بالتكفل ببرنامج بحث ضخم لجمع المعلومات عن تأثير العنف التلفزيوني على السلوك العدواني، وكلل هذا المجهود بستين بحثا عام 1971. وبالرغم من دلائل هذا التأثير الواضحة فقد أدت الضغوط السياسية والاقتصادية إلى تلطيف قراءتها ولم تتخذ الشبكات التلفزيونية والاستوديوهات السينمائية أي إجراء لتقليل حجم العنف المعروض محليا أو المصدر دوليا (بلاس: 1990، 26، 87).

ونحن نتعرض يوميا لسيل جارف من العروض العنيفة الأمريكية المصدر ثم يقال لنا إنها لمجرد الترفيه أو التنفيس. بينما تشير عدة دراسات جدية ومنها التي نشرتها مجلة الجمعية الطبية الأمريكية في عددها ليوم 10/ 6/ 1998 أن أثر عنف مشاهد التلفزيون حاسم. حيث شملت الدراسة بلدان ومناطق جغرافية وإثنية متشابهة. كان بعضها خاليا من التلفزيون وبعضها الآخر يتعرض له منذ فترة

طويلة. وكانت النتائج حاسمة جدا: لقد لوحظ في المناطق المعرضة لمشاهد التلفزيون، ومنذ ظهور هذه الوسيلة الجديدة فيها، انفجار العنف في ساحات لعب الأطفال و15 سنة من بعد (الفترة الضرورية للمعنّف كي يصبح مجرما محتملا) مضاعفة عدد جرائم القتل. وتعتبر الدراسة أن تعرض الأطفال للتلفزيون يتسبب على المدى البعيد في حوالي نصف جرائم القتل التي تحدث في أمريكا. وأن عدم التعرض للتلفزيون كان من الممكن أن يوفر على البلد سنويا حوالي عشرة آلاف جريمة قتل، سبعين ألف اغتصاب و700 ألف اعتداء (GROSSMAN, BLIND et POOL : 2003, 20).

وفي مطلع 2002 قام فريق من علماء النفس الأمريكيين من جامعة كولومبيا (نيويورك) بنشر نتائج دراسة واسعة أجريت على 700 شاب طيلة 18 سنة في المجلة الشهيرة "Science" (المجلد 295، 29 مارس 2002) (CLERGET, S. : 2002, 113-114) فكانت المرة الأولى التي تتأكد فيها بوضوح آثار العنف المتلفز على الشباب على المدى البعيد، وذلك بالرغم من أن الباحثين أخذوا بعين الاعتبار متغيرات عارضة مثل: الإهمال العائلي، الدخل المحدود والاضطرابات النفسية التي قد تتسبب هي الأخرى في سلوكات عنيفة، فعزلوها. ومع ذلك لاحظوا استمرار علاقة الارتباط بين مدة مشاهدة التلفزيون أيام الطفولة (بغض النظر عن طبيعة البرامج المشاهدة) ودرجة عنف المبحوثين لاحقا:

- أقل من ساعة ---> أقل من 6 ٪ قاموا بسلوكات عنيفة في نهاية مرحلة المراهقة وبداية الرشد. - من ساعة إلى 3 ساعات---> 23 ٪ قاموا بسلوكات عنيفة... - أكثر من 3 ساعات ---> 30 ٪ قاموا بسلوكات عنيفة...

- أما فيما يخص **الأغاني** فمنذ أكثر من عشر سنوات لاحظ المحللون ارتفاعا مستمرا في الصور والنصوص العنيفة وغير الأخلاقية في كلماتها وعروضها السمعية البصرية والتي أصبحت ذات استهلاك شعبي واسع. فلقد بلغت الوقاحة والفحش بأحد أشهرهم عند الشباب في الغرب (eminem) أن

يصف في كلمات إحدى أغنياته (kim) قتله لزوجته بل تحضيره للتعدي جنسيا على أمه ثم قتلها (في أغنية: kill you)...

وبالرغم من وجود العديد من ألعاب **الفيديو والمعلوماتية** الهادفة وغير العنيفة إلا أنه ومنذ 1983 توصلت أولى الدراسات (BOWMAN & ROTTER, 1983) إلى أن 85 ٪ من الألعاب تستوجب من اللاعبين استعمال هجومات فيزيقية لربح اللعبة. ومنذ أكثر من عشر سنوات: 1995-2005 (الحقبة الثالثة حسب "CARNAGEY & ANDERSON, 2004")، أصبحت هذه الألعاب أكثر وضوحا ودقة وتعقيدا ومرادفةً للعنف، حيث تشير دراسة تحليلية حديثة لمضامين ستين لعبة شعبية من ألعاب الفيديو أن أغلبها (90 ٪) عنيف عنفا مباشرا (SMITH, LACHLAN, & TAMBORINI, 2003). ولقد أدت واقعية إخراجها القريبة من السينما وضخامة ميزانية تسويقها إلى تحويلها إلى ثاني صناعة ترفيهية في العالم.

وإذا كان عنف التلفزيون أُشبِع دراسةً، فإن عدد أقل من الدراسات أجري حول عنف ألعاب الفيديو، مما جعل البعض يظن بأنها تقلص من عنف المراهقين كما توحي بذلك بعض المؤسسات التجارية. وبالطبع فإن أغلب الدراسات تؤكد على أن عنف ألعاب الفيديو يؤثر سلبا على اللاعبين وبطرق عدة، حيث أشارت دراسات حديثة (KIRSH, 1998; ANDERSON & DILL, 2000; ANDERSON & al., 2004) إلى وجود آثار أوضح لعنف ألعاب الفيديو على مشاعر وأفكار وسلوكات الأطفال والمراهقين، وخاصة الذين كانوا "منغمسين" أكثر في اللعب لتقمصهم شخصية الغير وعدم اللعب باسمهم الشخصي.

وإذا عرجنا على بعض نماذج ألعاب الفيديو نجد أن من الومضات الإشهارية لألعاب الفيديو ما يتضمن التشبيه بقتل الرضع: تضمن إشهار لعبة (Carmagaddon) حرفيا ما يأتي: "سهلة كقتل الرضع بالفأس"... ثم إن الكثير من ألعاب الفيديو تدرب الأطفال على التصويب التلقائي والدقيق على أهداف بشرية، مما قد يجعل من ردود فعلهم في حياتهم اليومية عبارة عن انعكاسات

شرطية لممارساتهم الفيديوية. وهي عملية قد تلغي المقاومة العقلية والضميرية للعنف والقتل لأن اللحظات الحرجة القصيرة ولحظات الاضطراب والخوف الشديد تتغلب فيها عادة ردود الفعل الانعكاسية الشرطية "البافلوفية" على القوى العقلية أو الأخلاقية التي تعطَّل لوقت قصير على الأقل.

مما يقودنا إلى الكلام عن ثقافة عنف أكثر تسترا لقلة خضوعها لمراقبة الأولياء وتتمثل في العنف الافتراضي الذي توفره شبكة **الإنترنت**، حيث يتيسر للأطفال والمراهقين تحميل كلمات الأغاني العنيفة وزيارة مواقع تقدم صورا و"فيديوكليبات" تجمع بين العنف والجنس، فكلمة "جنس" تأتي على رأس قائمة الكلمات المستعملة في محركات البحث العنكبوتية (COOPER et al., 1999; FREEMAN-LONGO, 2000; GOODSON et al., 2001). كما تعتبر المواقع الجنسية من بين أكثر المواقع زيارة على الشبكة (PETER & VALKENBURG, 2006, 186)، وموادها سهلة التعرض، مجانية أو ذات كلفة معقولة مع تميزها بالسرية. لقد أصبحت هذه الميزات الثلاث، التي يمكن أن تكنى بـ"السهل بن الميسر" أو حسب (COOPER, 1998) " The triple "A": Accessible, Affordable, Anonymous"، أصبحت ملفتة للانتباه وخاصة فيما يتعلق بفئة المراهقين، وذلك بسبب كثرة ترددهم على الانترنت ومهارتهم في التعامل مع تقنياتها وفضولهم المتميز وحبهم المفرط للإثارة (PETER & VALKENBURG, 2006, 178-179).

وتختلف نتائج الدراسات المتخصصة في تحديد نسبة تعرض المراهقين للمواد الجنسية الصريحة، لكن أحدثها (هولندا: PETER & VALKENBURG,2006) توصلت إلى أن 71 ٪ من الذكور و40 ٪ من الإناث تعرضوا لمثل هذه المواد خلال الأشهر الستة السابقة للدراسة.

إن تنوع مصادر العنف الإعلامي في حياتنا المعاصرة يجعلنا صغارا وكبارا نتعرض له لمدة أطول، ومن ثم فإن آثاره السلبية المحتملة في ازدياد كمي ونوعي.

وفي الأخير تجدر الإشارة إلى أن بعض الدراسات الحديثة، التي مر بعضها معنا (في أحد الأعداد الأخيرة "مارس 2002" لمجلة "Science" الشهيرة)، أكدت وجود علاقة ارتباط قوية بين مدة مشاهدة الأطفال للتلفزيون (مهما كانت طبيعة البرامج المشاهدة) والسلوك العنيف وخاصة إذا فاقت مدة المشاهدة ثلاث ساعات يوميا حيث تزيد نسبة احتمال القيام بسلوك عنيف: السرقة، الشجار... ويستمر هذا التوجه السلبي إلى ما بعد النضج.

كما تشير دراسات أخرى إلى أن نسبة تواجد العنف في وسائل الإعلام لم ترتفع فقط بل أصبحت أكثر إغراء وهيجانا وارتباطا بالأعمال الجنسية بل إن بعضها مجاني ويمجَّد في بعض مظاهره ويرِد دون أدنى أحكام قيمية توعوية مخففة، بل إن المؤسسة الأمريكية (NTVS) –سابقة الذكر- أشارت في إحدى دراساتها إلى أن 73 ٪ من مشاهد العنف لا تتضمن عقابا لفاعليه وأنه في قرابة نصف الحالات تتجاهل الأضرار اللاحقة بالضحايا (WIERVIORKA: 2004, 123). مع العلم، أنه وحتى في حالة القيام بذلك (ذكر العقاب والأضرار)، أكدت دراسة باندورا (BANDURA, 1965) التي أوردها "مكلفين و غروس" (2002، 366) "أن الأطفال الذين شاهدوا شخصا بالغا يعاقب على سلوكه العدواني، أظهروا تصرفات عدوانية أكثر من الأطفال الذين لم يشاهدوا عدوانا"، أي أنهم ينظرون إلى معاقبتهم على أنها نموذج عدواني أيضا.

3.2- عوامل انتشار العنف الإعلامي وحجج المسوغين له:

أولا) العوامل الاقتصادية:

تعتبر صناعة الترفيه في نظر البعض (WOLF, 2003) العجلة المحركة للاقتصاد العالمي الجديد، بحيث بلغت قيمة معاملات صناعتها أزيد من تريليون دولار... مع ملاحظة ارتفاع بيّن لأفلام "الحركة" (الآكشن) المفضلة في الأسواق العالمية، فهذا النوع سهل التصدير لأنه سهل الأداء فهو يحتاج إلى عدد قليل من الكلمات مما يقلل كثيرا من كلفة الترجمة و"الدبلجة"، كما أنه لا يحتاج إلى

سيناريوهات معقدة، بل إلى سلسلة متواصلة من المعارك، الجرائم، التفجيرات والمثيرات السمعية البصرية الخاصة. وذلك بخلاف الأفلام الهزلية والدرامية... وهو أمر مغر جدا للصناعة السمعية البصرية ويجعلها أميل إلى التخلي عن الأفلام المعقدة والاجتماعية لصالح أفلام الحركة وملحقاتها الإنتاجية (الدمى، الألبسة، الألعاب...) الموسعة لدائرة أرباحها.

ولذلك يعتبر البعض صناعة السمعي البصري نشاطا تسويقيا ملوثا: يذكر (WIEVIORKA, 2004, 131-132) أن "هاملتن" (HAMILTON, 1998) يطبق على التلفزيون منطقا مماثلا للذي استعمله سابقا في موضوع التلوث الكيماوي، حيث يرى أن الركض وراء المصالح الضيقة يتسبب في آثار اجتماعية غير مرغوبة، وأن العنف يعتبر خيارا اقتصاديا "تسويقيا" ذي مخرجات سلبية جدا يتحمل تكلفتها المجتمع برمته، وتستوجب إجراءات سياسية شبيهة بتلك التي استعملت في مكافحة التلوث الصناعي.

ثانيا) العوامل النفسية الاجتماعية:

تعتبر وسائل الإعلام الترفيهية مربحة جدا لأنها مغرية جدا ولا تكاد تخضع لضوابط جدية ومسؤولة. فطول مدة غياب الوالدين عن البيت وقلة مرافقتهما للأولاد، مع ندرة وجود العائلات الممتدة (إلى الجدين خاصة) وانعدام دورهم في توجيه وقت ونوعية تعرض الأطفال لوسائل الإعلام، والتفكك الأسري، بالإضافة إلى الإغراء النفسي للمشاهد، والسمعيات العنيفة وخياليتها المثيرة للتعرض... تمنع الأطفال من محاولة السيطرة على مشاعرهم والتي عادة ما تثيرها هذه المشاهد المخيفة، المرعبة والمخدشة للحياء والمثيرة للتحدي.

هناك إذن بعد ثقافي عام وتلبية رغبات وانتظارات نفسية خاصة. يشير "إيف ميشو" (MICHAUD, 2002, 101)، بصدد كلامه عن صور العنف عموما، إلى "تواطؤ فضوليتنا المَرَضية واهتماماتنا الدنيئة المتعفنة بخلاعة الفساد، وحاجتنا أيضا إلى التسلية والهروب من الواقع حتى ولو كانت صور هذا التواطؤ مخيفة

ومَقيتة". كما قد يزيد الطلب على مشاهد العنف نتيجة برمجتها في أوقات "ذروة المشاهدة"، قوة واقعيتها الإخراجية والتمثيلية مما يثير مزيدا من الفضول، سلبية المشاهدين وتراخيهم وسهولة استدراجهم لكل ما هو مثير للمشاعر وكثير الحركة وغريب من خلال إعلانات مغرية... بالإضافة طبعا إلى قلة الإنتاج الجدي ورداءة بعضه.

ثالثا) حجج المسوغين للعنف:

إن بعض الدراسات تقر بوجود علاقة ارتباط ضعيفة بين العنف في وسائل الإعلام والعنف في الحياة الواقعية. ولقلتها وقناعتي بعدم موضوعيتها التواترية لاعتباري بأن العنف ليس أصيلا في الإنسان (الذي يولد على الفطرة) بل تعليميا تلقينيا (فهو ليس بالضرورة ذئبا على أخيه الإنسان كما أشاع "هوبز")، فسأعرضها مذيلة تباعا بأحكام خاصة:

- إن الحملة ضد العنف الإعلامي هي نوع من أنواع الرقابة المعوّقة للتعبير الفني والمُفقرة له. بينما الشائع أن معظم مظاهر العنف الإعلامي غير هادفة وبعضها مجاني وفظ ودون أدنى لمسة فنية، فمعظم دواعيه تسويقية اقتصادية وليست فنية ولا تربوية.

- أن حماية العنف الإعلامي يعتبر شكلا من أشكال حرية التعبير. وفي المقابل يرى آخرون أن ذلك قد يكون على حساب حريات أخرى من الفضاء العام ومنها المساس مثلا بعزة وكرامة الإنسان. كما قد يؤدي إلى غلبة الفوضى وسيطرة قانون الغاب وغياب المسؤولية الاجتماعية.

- أن الرقابة لن تغير شيئا في الأسباب العميقة للعنف المجتمعي. وهناك من يرى العكس، أي أنها تخفف من حدته وسعة انتشاره وعلى الأقل من سوء توظيفه.

– أن الاختيار بين ما هو مقبول وغير مقبول إعلاميا يعتبر بالضرورة ممارسة ذاتية وغير موضوعية. وهذا ليس دائما صحيحا فهناك حدود دنيا متفق عليها عالميا وأخرى إقليميا وثالثة محليا.

– أن العديد من المسرحيات والكتب والأفلام التي كانت ممنوعة أصبحت تعتبر الآن إنتاجا كلاسيكيا ممدوحا عند البعض. ولكنه ليس كذلك عند غيرهم من الذين يعتبرونها فجوة ناتجة عن التراخي اللاحق وذيوع العنف وابتذاله.

– أن للأفراد الحق في تقرير ما يناسبهم ويناسب أطفالهم وليس للحكومات حق التدخل في ذلك (وبعضهم يجرد حتى الأولياء من هذا الحق). نعم ولكن ألا يحق لنا أن نتساءل: أين المسؤولية الاجتماعية والمصلحة العامة والكرامة الإنسانية وحقوق الآخرين من ذلك؟.

– أن العنف الإعلامي يختلف كميا عن العنف الممارس واقعيا، فهو أقل منه. إذا كان الأمر كذلك فالعنف المعروض أنموذجي وعدد مشاهديه أكبر، والكم الأرجح غير ذلك حيث ينقل (مكلفين و غروس: 2004، 377-378) عن (RADECKI, 1989) أن باحثين أمريكيين لفتوا النظر بقوة إلى أن ما يشاهد على التلفزيون ليس تصويرا صادقا للحياة الواقعية؛ ففي المسلسل البوليسي الأمريكي مثلا يتم إطلاق النار مرة في الحلقة الواحدة على الأقل، في حسن أن ضابط الشرطة العادي في مدينة شيكاغو لا يطلق النار من مسدسه إلا مرة واحدة كل 27 سنة في المتوسط".

– أن العنف الإعلامي يساعد الناس على التخلص من العديد من الفخاخ العاطفية والانفعالية حيث يصبح بإمكانهم إدراج وتسييق العناصر الأكثر إرهابا وتخزينا في اللاشعور في إطار نظرة أشمل لتكوين شخصيتهم، وذلك من خلال مشاهدتهم لمعارك وهمية غير إنسانية وتهديمية. في الأمر خلاف بيّن، لأن ردود الفعل تختلف باختلاف الفوارق الفردية للمعرّضين للوسائل الإعلامية.

- والشيء نفسه يمكن قوله للذين يرون بأن التعرض للعنف الإعلامي يسمح للشباب بمقاومة غير خطرة (وهمية) ضد الشعور بالعجز والخوف. فالخوف والترغيب والترهيب والغضب والتطلع إلى القوة... تعتبر كلها من مظاهر شخصيتنا التي نحاول إبعادها من حياتنا اليومية بالرغم من حاجتنا إلى تجربتها بطريقة غير مباشرة من خلال ما يحدث للآخرين، وذلك حتى نتمكن من تطوير شخصية أكثر شمولية وتعقيد وصلابة.

- أن السياسيين يستعملون مسألة العنف الإعلامي لتحويل الأنظار عن المشاكل الاجتماعية الحقيقية: الفقر، التسلح، التفكك الأسري... نعم قد يكون ذلك صحيحا ولكن الأصل القيام بمواجهة الأمرين معا.

3- طرق مواجهته:

يمكن مواجهة العنف في وسائل الإعلام المختلفة وفق المنطق العلمي، الأخلاقي والسياسي والاقتصادي والاجتماعي بالإجراءات الآتية: التشريعات الحكومية، الالتزامات الإرادية الفردية-الأسرية-المجتمعية، البرامج التربوية، الإجراءات التقنية الوقائية، وسائل الإعلام والاتصال...

1.3- المواجهة القانونية الرسمية:

أولا) *اتباع منطق الوقاية*: يفضل معاملة العنف الإعلامي على الأقل كمشكلة "صحة عمومية" محتملة الخطر وذلك على غرار التدخين والخمر والمخدرات... وعدم انتظار الإجماع العلمي اليقيني للتدخل لحماية الناس ضد مثل هذه المخاطر. فعندما يتيسر إثبات أن التعرض لأي نشاط أو مادة إعلامية يزيد من احتمالات الآثار السلبية فإن تدخل الدول يصبح مبررا.

ثانيا) *تشريع قوانين وضوابط أخلاقية غير إلزامية*: للحد من العنف الإعلامي في وسائل الإعلام، ومنها: منع بث حصص تتضمن مشاهد عنف مجاني أو مدح له، منع بث حصص عنيفة مخصصة عادة للكبار قبل الساعة التاسعة ليلا،

تطوير نظام تصنيفي خاص بالحصص التلفزيونية (أشكال هندسية، ملاحظات تحذيرية...)، منع تقديم العنف كأحسن وسيلة لحسم الخلافات وفض النزاعات في حصص الأطفال، أو جعل العنف الموضوع الرئيس لهذه الحصص، أو حث الشباب على تبني أو تقليد سلوكات خطيرة.

ثالثا) *إنشاء مجالس وهيئات تنظيمية*: لمتابعة أنشطة القطاع واستقبال شكاوى الجمهور المتعلقة بالعنف الإعلامي والتي تُؤخذ بعين الاعتبار عند تجديد رخصة الهيئات الإعلامية. كما يمكن لهذه الهيئات أن تمارس الرقابة على دخول الأعمال الإعلامية الأجنبية العنيفة المخصصة للأطفال.

2.3- المواجهة التكنولوجية: تتمثل في تجهيز التلفزيونات قبل عرضها في السوق برقاقة إلكترونية مضادة للعنف يمكن أن يستعملها الأولياء لمنع مشاهدة الأطفال البرامج العنيفة. وهي تعتمد على نظام تصنيفي للبرامج متفق عليه مسبقا ومتبنى من طرف الصناعيين. ولكن هناك من ينتقد هذه الوسيلة التكنولوجية قائلا بأنها تحمي هؤلاء من الأولياء وليس العكس لأنها تضمن استمرارية إنتاج البرامج العنيفة مع توفير وسيلة اختيار أمام إغراءات صعبة المقاومة. فلا يكفي تصنيف البرامج بل يجب تنويعها مع تغليب كفة البرامج الهادفة وتدعيمها قانونيا وماديا.

3.3- المواجهة الشعبية: يمكن تجسيدها بعدة طرق منها: جمع توقيعات وتوجيه عرائض شعبية للسلطات الرسمية ولوسائل الإعلام. فمثلا، بعد أحداث عنف مأسوية في بعض البلدان الغربية وجهت للسلطات توقيعات مطلبية جماهيرية (عريضة شعبية) ضد العنف. بالإضافة إلى أنشطة جمعيات المستهلكين الوقائية والتحسيسية والتوعوية والنشطة جدا في المجتمعات المتقدمة والتي قد تضغط بفعالية على السياسيين والصناعيين معا. كما أنه بإمكانها أن تقوم بتوعية الجمهور من خلال وسائل التنشئة الاجتماعية.

4.3- المواجهة العائلية: يجب على الأولياء معرفة أن الأطفال الصغار لا يفرقون جيدا بين الواقع والخيال، ولذلك فإن مشاهد العنف قد تغذي عدوانيتهم وخاصة منها تلك التي تبقى دون عقاب وبقدرة قادر لا تلحق أدنى ضرر بالضحايا.

ونظرا لتواجد مشاهد العنف في معظم القنوات والبرامج، بما في ذلك نشرات الأخبار، فإنه يصعب تجنبها بمجرد استعمال جهاز التحكم عن بعد لتغيير القنوات (zapping). كما أنه لا يمكن للأولياء الثقة فعلا بنظام تصنيف البرامج ومن ثم باستعمال الرقاقة الإلكترونية المضادة للعنف لتحديد إمكانية وجود محتويات غير مناسبة، وذلك بسبب التراخي المتزايد للمصنفين (وخاصة الأمريكيين المهيمنين على السوق) حيث أصبحت الأفلام، التي كانت في السابق تمنع على غير البالغين (أقل من 18 سنة)، تصنف: "ينصح برقابة الوالدين لأقل من 13 سنة". لذا وجب وضع تصنيف محلي خاص. ومن جهة أخرى يمكن للأطفال تجاوز رقابة الوالدين المفروضة على برامج البالغين باللجوء إلى ألعاب الفيديو المخصصة للبالغين في القاعات والنوادي التجارية التي لا يهم أصحابها إلا الفوائد التي يجنوها من تعاملهم مع القصّر.

كما قد تصعب المراقبة الوالدية نتيجة توفر الكثير من الشباب على أجهزة نقالة أو خاصة بغرفهم، لتي تحولت من غرف أسِرّة نوم إلى غرف تواصل وسيلي، والغياب الطويل للوالدين عن البيت. لذا وجب على الأولياء تجنب ذلك بمحاولة التواجد أكثر بالبيت أو بمعية الأولاد حتى خارج البيت وبـ:

- وضع التلفزيون والكومبيوتر في مكان من البيت كثير الحركة (مشترك) بين أفراد الأسرة (الصالون مثلا).

- تعويد الأطفال النوم في أوقات مبكرة، مع الاحتجاج بحاجز "التاسعة ليلا" (شتاءً) مثلا لمنع الأطفال من المشاهدة (بالإطفاء أو الإبعاد). مع العلم أن إمكانية مشاهدة حصص وأفلام سجلت مسبقا (ليلا مثلا) قد تخفف من أهمية هذا الواقي ولكنها لا تلغيه.

– مرافقة مشاهدتهم بالتعليق الهادف على المضامين وبتعريفهم بالتقنيات السمعية البصرية في بعدها الخيالي بغية تخفيف الأثر المحتمل لما يشاهدونه.

– اقتراح أنشطة أخرى بديلة مسلية ومثقفة (القراءة، المرافقة، الملاعبة، التنزه...) بغية للتقليل من التعرض لوسائل الإعلام لأنه كلما زاد تعرضنا لها كلما زادت نسبة احتمال مشاهدتنا للعنف باعتبار قوة إغرائه للأطفال وارتفاع نسبة تواجده في الأفلام، الإشهار، الصور التحركة وحتى في نشرات الأخبار المباشرة...

– دفعهم نحو جماعة الصحبة والصداقة من ذوي السلوك السوي لأن "الصبي –كما يقول ابن سينا– عن الصبي ألقن وهو عنه آخذ وبه آنس" (دليو: 2002، 30).

– وأخيرا وليس آخرا، قد يساعد على التقليل من التعرض الإعلامي للعنف، العمل الحكومي والجمعوي الإيجابي في مجال الأسرة بمحاربة سوء معاملة الأطفال وكثرة الطلاق وسهولته وقلة تواجد الوالدين مع الأطفال (وخاصة الأم في المراحل الأولى والأب لاحقا) والتشجيع على استمرار أو تكوين الأسر الممتدة... لأن كل ذلك يقلل من فرص تحول أجهزة التلفزيون وألعاب الفيديو وشبكة الانترنت إلى حاضنات غير بشرية، أي إلى "الأب الثالث" و"الأم الثالثة" اللذين يرافقان الأطفال لمدة أطول مما يرافقه والداه وجداه في البيت ومعلموه في المدرسة.

5.3– المواجهة التربوية:

– توعية الجمهور من خلال وسائل التنشئة الاجتماعية التقليدية والحديثة بماهية وأهداف وتصنيفات البرامج والتشريعات والقوانين والوسائل التكنولوجية المضادة للعنف.

– إدراج برنامج تعليمي في المدارس يساعد الأطفال على تغيير نظرتهم للعنف مع عدم الاندماج والاستغراق في البرامج العنيفة والتجرد منها فيقل تأثيرها. تعويدهم على التفكير النقدي حول وسائل الإعلام مما قد يؤدي بهم إلى

التساؤل عن كيفية استغلال العنف في وسائل الإعلام وعن أسباب هيمنته فيها وهل يستعمل لمجرد الإثارة وأن المشاهد خيالية ولا تأخذ بعين الاعتبار الآثار النفسية للعنف.

كما يجب أن يعرفوا أن لهم كجمهور كلمتهم بإيصال انتقاداتهم للمنتجين والمبرمجين كما لهم حرية الاختيار في نوع ومدة التعرض لوسائل الإعلام.

وأخيرا يجب تنبيه المعنيين بهذه الصناعة "الترفيهية" (مؤسسات رسمية وغير رسمية، جماعات وأفراد، منتجين وموزعين ومستهلكين ومراقبين) من المؤمنين بالنصوص الدينية أنه يمكن اعتبار الشق السلبي من هذه الصناعة نشاطا تسويقيا مشيعا للفاحشة التي نهانا الإسلام عن حب انتشارها: "إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم" (النور، 24). ويمكن إدراج مثل هذه النصوص الشرعية الترغيبية منها والترهيبية في مختلف الدعامات التربوية.

6.3- المواجهة الإعلامية:

نظرا لتقصير كبرى مؤسسات التنشئة الاجتماعية (الأسرة، المدرسة، المسجد...) في أداء دورها وعدم قدرتها على التكييف مع الواقع الجديد الذي فرضته إحداها (وسائل الإعلام) وجب على المعنيين (تربويون، سياسيون، كتاب، منتجون...) توظيف هذه الأخيرة نفسها في مواجهة عنفها.

فإذا كان من المستحيل التخلص من جميع النماذج الإعلامية العنيفة، فإنه من المفيد جدا مواجهتها، بغية التقليل منها والتخفيف من حدة مضامينها وآثارها السلبية، بزيادة عدد النماذج الإعلامية غير العدوانية. "فقد أظهرت عدد من الدراسات (DONNERSTEIN and DONNERSTEIN, 1972) أن مشاهدة الآخرين يتصرفون على نحو غير عدواني، حتى في مواجهة الاستفزازات الشديدة، من شأنه الحد من العدوان" (مكلفين و غروس: 2004، 366).

الخاتمة:

بالإضافة إلى العدد الهائل من الدراسات والتحليلات المثبتة لأضرار العنف الوسيلي، والتي استهدفنا عرض بعضها فيما سبق، وجب تدعيم ذلك في خاتمتنا بالتنويه بمنطق اهتماماتنا الأخلاقية في إطار البعد التثقيفي التربوي الخاص بمقاربة وسائل الاتصال في عصرنا الحالي، الذي يتميز بمحورية وسائل اتصاله الحديثة في حياتنا اليومية، وذلك أمام تراجع واضح لفاعلية دور باقي كبرى مؤسسات التنشئة الاجتماعية وتزايد الشعور العام بحدة المخاطر وانعدام الأمن، مع ضعف الروابط الاجتماعية والقيم الأخلاقية.

ولذلك نختم عرضنا هذا بما يأتي من تنبيهات معرفية عامة تساعد القارئ على تكوين رؤية متبصرة حولها وأصحاب القرار على تحمل بعض مسؤولياتهم:

- قبل كل شيء، يجب معرفة أن الموضوعية المحضة والحياد البريئ في وسائل الإعلام والاتصال لا يوجدان، فرسائلها عبارة عن منتجات فكرية بشرية تقدم وجهات نظر ظرفية وتعبر عن نوايا مبطنة أو صريحة ناتجة عن خبرات ومعارف ودوافع خاصة بالصحافيين، المحللين، معدي البرامج، المديرين، المنتجين و/أو الممولين. وما ينصح في هذا الإطار هو دعوة الإعلاميين أولا: إلى بذل الجهد في توخي أكبر قدر ممكن من الموضوعية "البشرية"، وثانيا: إلى العمل على عرض الرأي والرأي الآخر خدمة للموضوعية نفسها واحتراما لعقل الجمهور.

وتوظف وسائل الإعلام لتحقيق ذلك تقنيات عديدة: نفسية وعقلية فعالة جدا: تقنيات التحرير (تكرار، ترتيب، توقيت...)، المؤثرات الصوتية والخداع البصري... إن معرفة هذه التقنيات تساعد على التخفيف من سلطة هذه الوسائل على الجمهور وذلك بفضل عزل طابعها التجميلي والاصطناعي والخيالي.

ثانيا، أن وراء وسائل إنتاج وتوزيع الرسائل الإعلامية قوى سياسية، عسكرية و/أو اقتصادية ليست غريبة عن طبيعة المواضيع الإعلامية المختارة أو عن منحى معالجتها. مما قد يجعل الإعلامي يضحي بالمستلزمات النظرية للنشر: الآنية،

الغرابة، القيمة الإخبارية المحضة أو مدى خدمتها للمصلحة العامة... لحساب المكاسب السياسية أو الاقتصادية خاصة. وقد أدت العوامل الاقتصادية إلى غلبة مظاهر الإثارة والجنس والعنف على محتويات الرسائل الإعلامية... فثلثي أفلام هوليود، مثلا، مصنفة في خانة "لا ترخص مشاهدتها لمن يقل سنهم عن 18 سنة"! (www.media-awareness.ca:) (2005-10-12).

ثالثا، أن لنا (كجمهور) الحق والقدرة على التفاعل الإيجابي في استقبال وتفسير الرسائل الإعلامية تبعا لخصوصياتنا الديمغرافية والحضارية وذلك بمحاولة معرفة من يقف وراء هذه الوسائل، ما هي أولوياتها الإعلامية، ما هي العوامل المؤثرة في محتوياتها أو ما هي أهم محددات توجهاتها الإعلامية المبدئية والظرفية. فيكون بذلك استهلاكنا لرسائلها استهلاكا راشدا. وكذا بالعمل على المستوى المحلي والإقليمي على تشجيع قيام جمعيات غير حكومية مدعمة لمقاومة العنف الإعلامي، ومساندة لأي نشاط عمومي يعمل على مواجهة أو التخفيف من حدة وسعة عنف الإعلام الوافد المهيمن وذلك بإنشاء قنوات تتبنى مفهوم "التربية الترفيهية" من خلال برامج تلفزيونية تصهر الأهداف التربوية ووسائل نقل المعرفة في بوتقة واحدة وتقدم محتوى هادفاً.

وأخيرا يمكن اقتراح إنشاء "مجلس معايير" خاص بالدول العربية و/أو الإسلامية -على غرار المعتمد في الاتحاد الأوروبي- يتبنى نظاما لتصنيف المنتجات الإعلامية و"قوانين نشر" عامة تسمح بالتعامل معها إنتاجا واستيرادا، فتشكل بذلك ورقة ضغط جماعية (إقليمية) قوية في وجه الصناعة الترفيهية "الغيرية".

❖ مراجع البحث

(1) ابن منظور (1997): **لسان العرب**، المجلد التاسع، بيروت، دار الفكر.

(2) أديب عقيل: **التلفزيون وتحديات التنشئة الاجتماعية مجلة النبأ**، عدد 64، كانون الأول 2001 دمشق (Annabaa.org.04/03/2006).

(3) بلاس، توماس (محرر) (1990): **العنف والإنسان**، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر. ترجمة وتقديم عبد الهادي عبد الرحمن.

(4) بينيت، كريس (2005): **التشريعات في مجال ألعاب الفيديو أمر سيئ**، Himag.com Sep.2005.

(5) بوجلال، عبد الله (1994): **أثر التلفزيون على المشاهدين**، مجلة بحوث، العدد الثاني، جامعة الجزائر.

(6) دليو، فضيل (2002): **الانترنت**: سلبياتها ووسائل الوقاية منها، في فضيل دليو (إشراف): التحديات المعاصرة، مخبر علم اجتماع الاتصال، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر.

(7) الدوري، عدنان (1977): **أثر برامج العنف والجريمة على الناشئة**، الكويت، وزارة الإعلام.

(8) ليلاند واي يي (2005): **هناك حاجة للتشريع في مجال ألعاب الفيديو**، Himag.com sept 2005.

(9) مكلفين، ر. و غروس، ر. (2002): **مدخل إلى علم النفس الاجتماعي**، الأردن، دار وائل للنشر (ترجمة ياسمين حداد وآخرين).

(10) مكاوي، حسن عماد و السيد، ليلى حسين (1998): **الاتصال ونظرياته المعاصرة**، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية.

(11) فتاحي نورة، سماح عجامي وفضيلة جعوط (1998): **مشاهد العنف المتلفزة والمراهق الجزائري**، مذكرة ليسانس في علم اجتماع الاتصال، إشراف د. فضيل دليو، معهد علم الاجتماع، جامعة قسنطينة، السنة الجامعية 97-98.

(12) الخولي، حنان: **العنف على الشاشة الصغيرة... كيف نواجه الخطر؟** مجلة الحياة، القاهرة، 8/ 11/ 2003.

(13) تركستاني، فهد (2005): **الطفل والتلفزيون**:.Annabaa.org . 17-06-2005 06:27 PM

(14) قناص، وائل بهجت (2004): **التلفزيون العنف والواقع الأمريكي**، مجلة النبأ، العدد 70، أيار 2004، المستقبل للثقافة والإعلام، بيروت، لبنان .

(16) العبد، عاطف عدلي (1986): **الاتصال والرأي العام**، القاهرة، دار الفكر العربي.

(17) عوض هاشم (1999): **العنف التلفزيوني وعلاقته بالسلوك العدواني**، مجلة الإذاعات العربية، العدد 2.

(18) عيساني، رحيمة (2000): **دور التلفزيون في نشر العنف والجريمة**، رسالة ماجستير، قسم علوم الاتصال، جامعة عنابة، الجزائر.

(19) عيساوي، أحمد (1993): "**أفلام العنف وصناعة الإرهاب**"، أسبوعية الشروق الثقافي، العدد 8، الجزائر.

المراجع باللغات الأجنبية:

(1) ANDERSON, C. A. (2004): **An update on the effect of violent video games.** *Journal of adolescnce*, 27, 113-122.

(2) ANDERSON, C. A. & DILL, K. E. (2000): **Video games and aggressive thoughts, feelings, and behavior in the laboratory and in life**. *Journal of Personality and social Psychology*, 78, 772-790.

(3) ANDERSON, C. A. & BUSHMAN, B. J. (2001): **Effect of violent video games on aggressive behavior, aggressive cognition, aggressive affect, physiological arousal, and prosocial behavior**: a meta-analytic review of the scientific literature. *Psychological Science*, 12, 353-359.

(4) ANDERSON, C. A. & al., (2004): **Violent video games: Specific effects of violent content on aggressive thoughts and behavior**. *Advances in Experimental Social Psychology*, 36, 199- 249.

(5) BOWMAN, R. P. & ROTTER, J.C. (1983**): Computer games: Friends or foe?** *Elementary School Guidance and Counseling*. 18, 25-34.

(6) CARNAGEY, N. & ANDERSON, C. A. (2004): **Violent video games exposure & aggression:** A litterarature review, Minerva Psichiatria, 45, 1-18.

(7) CLERGET Stéphane (2002) : **Enfants accros de la télé**, Paris, Fayard.

(8) COOPER, A.(1998): **Sexuality and the Internet**: Surfing into the new millennium. *Cyberpsychology and Behavior*, 1, 181-187.

(9) COOPER, A. et al. (1999**): Sexuality on the Internet**: From sexual exploration to pathological expression. *Professional psychology: Research and Practice*, 30, 154-164.

(10) DOMINICK, J. R. (1984): **Video games, television violence and aggression in teenagers,** *Journal of Communication*, 34, 136-147.

(11) FLING, S. et al., (1992): **Video games, aggression**, and self-esteem: A survey, *Social Behavior and Personality*, 20 (1), 39-46.

(12) FREEMAN-LONGO, R. E. (2000): **Children, teens, and sex on the Internet.** Sexual Addiction and Compulsivity, 7, 75-90.

(13) FRYDMAN, Marcel (1993) : **Télévision et violence**, Charleroi, EMPS.

(14) GAILLARD J.-Michel (2001) **: La famille en miettes**, Paris, Sand.

(15) GITLIN, Todd (2001): **Media Unlimited, How the torrent of images and sounds overwhelms our lives**, New York, Metropolitan Books.

(16) HAMILTON, J. T. (1998): **Channeling violence. The economic market for violent television programming,** Princeton, Princeton University Press.

(17) HUYGHE, F.-B. (2001): **L'Ennemi à l'ère numérique**, Paris, PUF.

(18) KIRSH, S. J. (1998): **Seeing the word through mortal kombat-colored glasses. Violent video games and the development of a short-term hostile attribution bias.** *Childhood*, 5 (2), 177-184.

(19) **Le Petit Larousse Illustré** (1995), Paris, Ed. Larousse.

(20) LIEBES, T. & KATZ, E. (1990):**The export of meaning. Cross-cultural readings of Dallas,** New York-Oxford University Press.

(21) LIN, S. & LEPPER, M. R. (1987): C**orrelates of children's usage of video games and computers.** *Journal of Applied Social Psychology*, 17, 72-93.

(22) LO, V.-H. & WEI, R. (2002): **Third-person effect, gender, and pornography on the Internet.** *Journal of Broadcasting and Electronic Media*, 49, 221-237.

(23) MARTINEZ, Andrea (1990): **La violence et la télévision: état des connaissances scientifiques**, CRTC, Canada.

(24) MICHAUD, Yves (1978**): Violence et politique**, Paris, Gallimard.

(25) MICHAUD, Yves (2002): **Changement dans la violence**, Essai sur la bienveillance universelle et la peur, Paris, Ed. Odile Jacob.

(26) MICHAUD, Yves. (2003): **Violence, Encyclopédie Universalis**, France.

(27) OTTO, N. Larsen (ed.) (1968**): Violence and the Mass Media**, Evanston & New York Harper & Row

(28) SHERRY, J. L. (2001**): The effect of violent video games on aggression**: a meta-analysis. *Human Communication Research*, 27, 409-431.

(29) SMITH, S. L., LACHLAN, K., & TAMBORINI, R.(2003): **Popular video games: Quantifying the presentation of violence and its context**. *Journal of Broadcasting & Electronic Media*, 47 (1), 58-76.

(30) TAMBORINI, R. et al.(2004): **Violent virtual video games and hostile thoughts**. *Journal of Broadcasting and Electronic Media*, 48, 335-357.

(31) TONTONS, C. & al.(1966): **The Oxford Dictionary of English Etymology**, Oxford C. Press.

(32) WIERVIORKA, M.(2004**): La violence**, Paris, Ed. Ballan.

(33) WOLF, M. J. (2003): **The entertainment economy**: How mega-media forces are transforming our lives. New York. Three Rivers Press.

(34) WOLFGANG, Donsbach (2006): **The identity of communication research**. *Journal of Communication*, 56, 437-448.